

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ

أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿٩٨﴾ [المؤمنون: 97 - 98]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

إلهام من الله

تعالى لنبيه ﷺ

لما يُعينه على

دفع السيئة

بالتى هي أحسن

في اتصال هاتين الآيتين بما قبلهما وجهان؛ الأول: أَنَّ اللَّهَ ﷻ لما أدب رسوله ﷺ بقوله: ﴿أَذْفَعُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: 96]؛ أتبعه بما يُقَوِّيه على الامتثال لهذا الهدى الإلهي، فأمره أن يلجأ إليه، وأرشده إلى الاستعاذة به، وخصَّص هذه الاستعاذة بأمرين؛ الأول: أن يستعيذ به من وساوس الشياطين، والآخر: أن يستعيذ بالله من حضورهم لأي أمر من أموره، أو أي حالٍ من أحواله حتى لا تحول الشياطين دون الدَّفْعِ بالتّي هي أحسن؛ أي: التَّعوُّذِ مِنْ تَحْرِيكِ الشَّيْطَانِ داعية الغضب والإنقام في نفس النبي ﷺ، والثاني: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ عَطْفًا عَلَى جُمْلَةٍ ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾، بِأَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ بِطَلَبِ الْوِقَايَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ، فَيَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الشَّيَاطِينِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112]، وَالْمُرَادُ بِالْآيَةِ: أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، أَوْ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ مِنْهُمْ⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَعُوذُ﴾: (عوذ) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ؛ وَهُوَ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بِشَيْءٍ أَوْ لَازَمَهُ، وَالْعَوُذُ مِنَ اللَّحْمِ: مَا عَاذَ بِالْعَظْمِ وَلَزِمَهُ، وَمِنْ الْكَلَاءِ: مَا لَمْ يَرْتَفِعْ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 16، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 118 - 119.

إلى الأغصان وَمَنَعَهُ الشَّجَرُ مِنْ أَنْ يُرْعَى، وهو ما نبت في أصلِ هَدَفٍ أو شَجَرَةٍ أو حجرٍ يستره، تقول: أَعُوذُ بِاللَّهِ؛ أَيُّ: أَلْجَأُ إِلَيْهِ، عُوْذًا أَوْ عِيَاذًا، وَفُلَانٌ عِيَاذُكَ؛ أَيُّ: مَلْجَأٌ، وَالْعُوْذَةُ وَالْمَعَاذَةُ: الَّتِي يُعُوْذُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ فَرْعٍ أَوْ جُنُونٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلتَّمِيمَةِ وَالرَّقِيَّةِ: عُوْذَةٌ، وَعُوْذَةٌ: وَقَاهُ، وَقَوْلُهُمْ: مَعَاذَ اللَّهِ، مَعْنَاهُ: أَعُوْذُ بِاللَّهِ؛ فَالْمَعْنَى الْمُحَوْرِي: التَّصَاقُ الشَّيْءِ الْغَضِّ بِصُلْبٍ يَمْنَعُ أَوْ يَعُوْذُ تَنَاوُلَهُ، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: 200]؛ أَيُّ: التَّجَنُّبُ إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ بَجَنَابِهِ الْقَوِيُّ، وَحَقِيقَتُهُ: اسْأَلِ الْعُوْذَ؛ وَهُوَ الْإِلْتِحَاقُ وَالتَّلَقُّقُ بِالشَّيْءِ ثَقَّةً بِهِ⁽¹⁾.

(2) ﴿هَمَزَاتٍ﴾: (همز) أصلٌ يدلُّ على ضَغْطٍ وَعَصَرٍ، وَهَمَزَتُ الشَّيْءَ فِي كَفِّي، وَمِنْهُ الْهَمْزُ فِي الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ يَضْغُطُ الْحَرْفَ، وَيَقُولُونَ: هَمَزَ بِهِ الْأَرْضُ، وَقَوَسُ هَمْزَى: شَدِيدَةُ الدَّفْعِ لِلْسَّهْمِ، وَالْهَمَّازُ: الْعِيَابُ بِالْغَيْبِ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ، وَقِيلَ: الَّذِي يَغْمِزُ بِأَخِيهِ فِي الْمَجْلِسِ، وَكَذَا الْهَمْزَةُ، كَأَنَّمَا يَنْخُسُهُمْ بِلِسَانِهِ، وَالْمَعْنَى الْمُحَوْرِي: دَفْعُ بَقْوَةٍ وَدِقَّةٍ لِمَا يَنْفِذُ فِي شَيْءٍ، كَالسَّهْمِ عَنِ الْقَوْسِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِمَا يَغُورُ فِي ظَاهِرِ جِزْمِ الشَّيْءِ: مِهْمَزٌ وَمِهْمَازٌ، وَمِنْهُ مِهْمَازُ الرَّائِضِ لِحَدِيدَةٍ تُرَبِّطُ عَلَى مُؤَخَّرِ رَجُلِهِ، يَنْخُسُ بِهِ الدَّابَّةَ لِتُسْرِعَ أَوْ لِتَتَبَّ، وَإِطْلَاقُ ذَلِكَ عَلَى الْوَسْوَاسَةِ وَالْحَثِّ عَلَى الْمَعَاصِي لِمَا يَبْنِيهِمَا مِنَ الشَّبهِ الظَّاهِرِ، وَهَمْزُ الشَّيْطَانِ كَالْمَوْتَةِ تَغْلِبُ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ تَذَهَبُ بِهِ، وَالْمُرَادُ بِـ ﴿هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: نَزَغَاتُهُمْ وَمَا يَوَسْوِسُونَ بِهِ، أَوْ خَطَرَاتُهَا الَّتِي تُخَطِّرُهَا بِقَلْبِ الْإِنْسَانِ، أَوْ تَصَرُّفَاتُهُمْ بِتَحْرِيكِ الْقَوَى الَّتِي فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ لِيَنْتَصِفَ لِنَفْسِهِ، أَوْ لِتَصْرِفَهُ عَنْ وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْخَيْرِ، أَوْ لِتَلْحَقَ بِهِ الْأَذَى⁽²⁾.

(3) ﴿يَحْضُرُونَ﴾: (حضر) أصلٌ يدلُّ على إِيْرَادِ الشَّيْءِ وَوُورِدِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ، وَقَدْ يَجِيءُ مَا يَبْعُدُ عَنْ هَذَا، وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ وَاحِدًا؛ فَالْحَضَرُ خِلَافُ الْبَدْوِ، وَالْحَضَارَةُ وَالْحِضَارَةُ: السُّكْنَى بِالْحَضَرِ، وَأَمَّا قَوْلُ الْعَرَبِ: اللَّبَنُ مَحْضُورٌ؛ فَمَعْنَاهُ: كَثِيرُ الْآفَةِ، وَيَقُولُونَ: الْكُنْفُ مَحْضُورَةٌ، وَتَأَوَّلَ نَاسٌ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ۝٧٧﴾ وَأَعُوْذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ؛ وَالْمَعْنَى الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ: أَعُوْذُ بِكَ أَنْ يُصِيبُونِي بِسُوءٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَحْضُرُونَهُ بِسُوءٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَوْ أَنْ يَحْضُرَنِي الْجَنُّ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاغِبُ، المُفْرَدَات، والسَّمِينُ الْحَلْبِيُّ، غُمْدَةُ الْحَفَاطِ، وَجِبِل، للعجم الاشتقاقِي: (عوذ).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاغِبُ، المُفْرَدَات، والسَّمِينُ الْحَلْبِيُّ، غُمْدَةُ الْحَفَاطِ، وَالْفِرَوْزَابَادِي، بِصَائِرِ ذَوِي التَّمْيِيزِ: (همز).

✽ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الاستعاذة
من وساوس
الشياطين سبيل
النَّجاة في الدُّنيا
والآخرة

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٖ بِأَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ وَيَعُوذَ بِهِ مِنْ هَمْزَاتِ الشَّيَاطِينِ أَنْ يَحْضُرُوهُ فِي مَعَالِجَةِ الدَّعْوَةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَهُ ﷺ بِأَنْ يَتَرَيَّثَ، وَيَدْعُوَ بِالْحِكْمَةِ، كَمَا أَرَشَدَهُ ﷺ أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ عَائِذًا لَا نَذَا أَنْ يَحْضُرَ الشَّيَاطِينُ أَيَّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ، أَوْ أَيِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ الدِّيْنِيَّةِ أَوْ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْأُمُورِ الدَّعْوِيَّةِ وَالْعِبَادِيَّةِ مِنْ بَابٍ أَوَّلَى؛ حَتَّى لَا يَخْرُجَ عَنْ جَادَةِ الدَّعْوَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَإِنَّ هَذَا وَمَا سَبَقَهُ تَحْرِیضٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِاللُّطْفِ عِبَارَةً وَأَبْلَغُ إِشَارَةً، بِأَنْ يَأْخُذَ قَوْمَهُ بِالرَّفْقِ وَالْأَنَانَةِ وَالْمَوَاتَةِ؛ حَتَّى لَا يَنْفِرُوا، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي كُلِّ دَاعٍ لِأَمْرٍ، أَوْ لَجَدِيدٍ مِنَ الْحَقِّ لَمْ يَأْلَفْهُ النَّاسُ، لَا يَغَاضِبُهُمْ وَلَا يَنَافِرُهُمْ، بَلْ يَتَأَلَّفُهُمْ، وَيَقْرُبُ مِنْهُمْ، وَلَا يَبَاعِدُهُمْ⁽¹⁾.

✽ الإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالة الواو في ﴿وَقُل﴾:

دفع السيئة
بالحسنة لا
يمكن دون
الاستعاذة
بالله من كيد
الشياطين

الواو في قوله: ﴿وَقُل﴾ إمَّا أَنْ تَكُونَ عَاطِفَةً أَوْ لِلِاسْتِثْنَاءِ وَالْإِبْتِدَاءِ، فَأَمَّا إِنْ كَانَتْ عَاطِفَةً - وَهُوَ الْأَظْهَرُ - فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ دَفْعَ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ أَمْرٌ عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنَ الْإِرْهَاقِ لِلنَّفْسِ، وَأَنَّهُ مَظِنَّةٌ حُضُورِ الشَّيَاطِينِ؛ لِيُغَرَّوْا الْإِنْسَانَ بِالْحَمِيَّةِ وَالْإِنْتِصَارِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ ثَمَّ عَطِفَتِ الْآيَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ عَلَى الْآيَةِ السَّابِقَةِ؛ لِيَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جَلِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ؛ فَيَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يُعِيْذَهُ مِنْهَا، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ لِرِعَايَةِ اللَّهِ تَبَارَكَتْ أَلَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَتَعَهُدُهُ بِالْإِرْشَادِ وَالنُّصْحِ؛ كَيْ يُعِينَهُ عَلَى آدَاءِ مَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.

وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ الْوَائِي فِي ﴿وَقُل﴾ لِلِاسْتِثْنَاءِ وَالْإِبْتِدَاءِ؛ فَهِيَ تُشِيرُ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5116 / 10.

إلى ابتداء إرشاد الله لنبيه لأحد سبل النجاة عامّة، وهو الالتجاء إلى الله أن يعصمه من نزغات الشياطين.

غرض التعبير بالأمر ﴿وَقُل﴾:

ابتدأ النظم الحكيم بعد الواو بفعل الأمر ﴿وَقُل﴾ فأرشد الله نبيه ﷺ لسبيل النجاة من وساوس الشياطين وهمزاتهم، وأمره بالالتجاء إلى الدعاء، وصدر هذا الإرشاد بفعل الأمر ﴿وَقُل﴾؛ وفي ذلك دلالة على بالغ الرعاية، وتمام الإرشاد، ومقام القرب من الله ﷻ، وفيه دلالة - كذلك - على أن النجاة من هذه الوسوس والهّمزات الشيطانية لا طاقة للإنسان بها وحده دون صدق التضرّع والالتجاء إلى الله، العليم بمبلغ أثرها في نفوس عباده، كما يُستفاد من فعل الأمر ﴿وَقُل﴾ إعلان امتثال النبي ﷺ لأمر ربه بإيمانه بما أُرسل به، والتأكيد على صدق نبوته واستمراريّة عطاء الله له في كلّ حين.

النجاة من
وساوس
الشيطان لا
تكون إلا بصدق
الالتجاء إلى الله

غرض التعبير بالنداء، ودلالة حذف حرف النداء:

عبر النظم الحكيم بلفظ ﴿رَبِّ﴾؛ وذلك لما فيه من الإيذان بأنه سبحانه المالك الناظر في مصالح العبد، ففي هذا المقام كان من المناسب غاية المناسبة ذكر الله ﷻ بهذا الاسم الجليل، لما فيه من معاني الحماية والعطف والرعاية والتربية، وفي ذلك تأكيد لمعونة النبي ﷺ على أداء ما كُلف به من خلق راقٍ لا يمكن بلوغه دون عصمة من الله تعالى، وقد حُذفت أداة النداء (يا) للدلالة على قربهِ ﷺ من الرحمة الإلهية؛ فحُذفت الأداة دليل على قرب إجابة الله تعالى له في هذا اللجوء وتلك الاستعاذة، كما تضمن ذكر ﴿رَبِّ﴾ إشعاراً بخالص عبوديته ﷻ لله رب العالمين، وتقريعاً لأولئك المعاندين المكذّبين من شياطين الجن والإنس.

الرَّبُّ ﷻ هو
المَلَجَأُ والمَلَذُّ لكل
مؤمنٍ

دلالة التعبير بالمضارع:

أثر النظم الجليل استعمال الفعل المضارع في قوله تعالى:

استمراراً
الاستعاذة
وتجددُها من
سبل حفظ الله
لنبيه ﷺ

﴿أَعُوذُ﴾: للدلالة على التَّجَدُّد والاستمرار، وفي ذلك دلالة على إرشاد الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يستعِذ به في كلِّ أوقاته، وعامةِ أحواله، فليست الاستعاذة مقصورةً على الاستعانة به لدفع السيئة بالحسنة فحسب، بل في استعمال المضارع إشارة لكون الاستعاذة مطلوبةً في كلِّ حال من أحواله، وهو كذلك تلقينٌ للمسلمين جميعاً أن يستعِذوا بالله على الدوام من همزات الشياطين في كلِّ أحوالهم، فمعلومٌ أنَّ مَنْ يَنْقَطِعْ إلى الله تعالى وَيَسْأَلْهُ أَنْ يُعِيذَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُتَدَكِّراً مُتَيَقِّظاً فيما يأتي وَيَذَرُ، فيكون نفسُ هذا الانقطاع إلى الله تعالى داعيةً إلى التَّمَسُّكِ بالطَّاعَةِ وَزَاجِرًا عَنِ الْمَعْصِيَةِ⁽¹⁾، فمن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَنْعُوذُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفَخِهِ، قَالَ: وَهَمَزُهُ الْمَوْتَةُ، وَنَفْثُهُ الشَّعْرُ، وَنَفَخُهُ الْكِبْرِيَاءُ»⁽²⁾.

معنى حرف الجرّ ﴿بِكَ﴾:

الاستعاذة
من الشيطان
إنَّما تكون
بالاستعانة
بالله وخذّه

أفادت الباءُ في قوله: ﴿بِكَ﴾ معنى الاستعانة؛ أي: صِدَقَ الالتجاءُ إلى الله تعالى، فلا نجاةَ من حبائل الشَّيْطَانِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، كما أَنَّهُ لَا اسْتِعَانَةَ دُونَ الْإِلْتِصَاقِ بِجَنَابِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ واستشعارها في كلِّ قولٍ وفعلٍ.

دلالة التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الْخُطَابِ ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾:

استعمال ضمير
الخطاب دليلٌ
على القُرب
والمُعَيَّة

جاء التَّعْبِيرُ في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾، بضمير الخطاب (الكاف)، والمُرَادُ اللَّهُ ﷻ، وقد آثَرَ النُّظْمُ الْحَكِيمُ الْكَافَ هَاهُنَا للدلالة على القُربِ مِنَ الْمُعَيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَدَلَ عَنْ قَوْل: (أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ)؛ وذلك لِأَنَّ ذِكْرَ كَلِمَةِ ﴿رَبِّ﴾ قد تَضَمَّنَتْ - من بين ما تَضَمَّنَتْ - معاني العَظَمَةِ؛ فَنَاسَبَ السِّيَاقُ التَّعْبِيرُ بِالْكَافِ؛ للدلالة على القُربِ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 117/12.

(2) أخرجه أحمد في السند، مسند عبد الله بن مسعود، برقم: (3905).

معنى حرف الجرّ ﴿مِنْ﴾ ودلالته:

أفادت ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ معنى التَّعْلِيل⁽¹⁾؛ فالالتجاء إلى الله، والليّاذُ بِعَظَمَتِهِ إنّما هو احتماءٌ من أثر الوسوسِ الخبيثة التي تَبَيَّهَا الشَّيَاطِينُ في النَّفُوسِ، وما تُسَبِّهُ من بُعْدٍ عن منهج الله ﷻ، ولَمَّا كان دَفْعُ السَّيِّئَةِ بالحسنة مَظْنَةً وسواسِ الشَّيَاطِينِ وهَمَزَاتِهِمْ؛ جاءت ﴿مِنْ﴾ مُعَلِّلةً لسبب الاستعاذة منهم.

سِرُّ الإضافة ودلالة الجمع في ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾:

عبر النّظمُ الحكيم عن أثر الشَّيَاطِينِ في النَّفُوسِ بصيغة الجمع: ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾؛ وذلك بسبب تعدُّد المَرَّاتِ التي يوسوسون فيها للإنسان، أو لِنُتُوعِ الوَسَاوِسِ في كلِّ مجالٍ من مجالات الحياة الدُّنيويّة أو الآخرويّة، أو لِنُتُوعِ الشَّيَاطِينِ وكثرتهم، حتّى إنّ منهم لفريقاً يختصُّ بعملٍ مُعَيَّن؛ كشیطان الصَّلَاةِ وغيرها؛ ففي التعبير بالجمع تنبيهٌ على وجوب المداومة على الاستعاذة من كثرة الهَمَزَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وقد أُضِيفَتِ الهَمَزَاتُ لِلشَّيَاطِينِ تشبيهاً لأنّرها بما يُحْدِثُهُ النَّحْسُ بِالْمِهْمَازِ فِي الدَّابَّةِ لِتَثَبِّ، فَيَثَبُّ الْإِنْسَانُ مِنْ حَالَةِ الْإِيمَانِ والهدوء والدَّعةِ إلى حَالَةٍ مِنَ الْمَعْصِيَةِ والغضب والانتقام لنفسه.

دلالة العطف بالواو في ﴿وَأَعُوذُ بِكَ﴾:

ربط النّظمُ الحكيم بين الآية السَّابِقَةِ وهذه الآية بواو العطف؛ للدلالة على أمرٍ مُغَايِرٍ لِأَمْرِ الْأَوَّلِ، وهو التَّعَوُّذُ مِنْ حُضُورِ الشَّيَاطِينِ، فلا يكفي التَّعَوُّذُ مِنَ الْهَمَزِ وَحْدَهُ؛ بل لا بُدَّ كَذَلِكَ مِنَ التَّعَوُّذِ مِنْ حُضُورِهِمْ؛ فَقَدْ أُمِرَ ﷻ بِأَنْ يَعُوذَ بِهِ تَعَالَى مِنْ حُضُورِهِمْ، بَعْدَ مَا أُمِرَ بِالْعَوْدِ مِنْ هَمَزَاتِهِمْ؛ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ مُلَابَسَتِهِمْ، وَإِعَادَةُ الْفِعْلِ مَعَ تَكَرُّرِ النَّدَاءِ؛ لِإِظْهَارِ كَمَالِ الْإِعْتِنَاءِ بِالْأُمُورِ

وسوسة
الشَّيَاطِينِ مِنْ
أسباب المعاصي
والبُعد عن
منهج الله

كثرة الشَّيَاطِينِ
وكثرة هَمَزَاتِهِمْ
من دواعي
المداومة على
الاستعاذة

المبالغة
في التَّعَوُّذِ
من حضور
الشَّيَاطِينِ مِنْ
الْهَذْيِ الرَّبَّائِي

(1) السَّمِينُ اللَّحْيِيُّ، الذَّرُّ لِلصَّوْنِ: 9/1.

به، وعَرَضَ نِهَايَةَ الْإِبْتِهَالِ فِي الْإِسْتِدْعَاءِ، أَيِ: أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَحْضُرُونِي وَيَحُومُوا حَوْلِي فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ⁽¹⁾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ»⁽²⁾؛ فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى حُضُورِ أَثَرِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ، لَذَا كَانَ مِنْ دِقَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْ نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ فِي التَّخَلُّصِ مِنْ هَذَا الْحُضُورِ الَّذِي قَدْ يَغْضَلُ الْإِنْسَانَ عَنْ أَثَرِهِ، فَيُزَيِّنُ لَهُ الْمَعَاصِيَ وَالشَّهَوَاتِ، وَفِي الْأَمْرِ بِالتَّعَوُّذِ مِنَ الْحُضُورِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالتَّعَوُّذِ مِنْ هَمَزَاتِهِمْ مُبَالَغَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ مُلَابَسَتِهِمْ، وَإِعَادَةُ الْفِعْلِ مَعَ تَكَرُّرِ النَّدَاءِ لِإِظْهَارِ كَمَالِ الْإِعْتِنَاءِ بِالْمَأْمُورِ بِهِ، وَعَرَضَ نِهَايَةَ الْإِبْتِهَالِ فِي الْإِسْتِدْعَاءِ⁽³⁾.

دلالة التعبير بالمضارع ﴿أَعُوذُ﴾:

كَرَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعُوذُ﴾ فِعْلَ الْإِسْتِعَاذَةِ بِاسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى إِرْشَادِ اللَّهِ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيزَ بِهِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ وَعَامَّةِ أَحْوَالِهِ؛ فَلَيْسَتْ الْإِسْتِعَاذَةُ مَقْصُورَةً عَلَى الْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ؛ بَلْ هِيَ كَذَلِكَ مَطْلُوبَةٌ فِي الْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ حُضُورِهِمْ، وَهُوَ كَذَلِكَ تَلْقِينٌ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا أَنْ يَسْتَعِيزُوا بِاللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ⁽⁴⁾.

غرض التعبير بالنداء المحذوف الأداة:

حُذِفَتْ أَدَاةُ النَّدَاءِ (يَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَعُوذُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُرْبِهِ ﷻ مِنَ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَحَذَفُ الْأَدَاةِ دَلِيلٌ عَلَى قُرْبِ إِجَابَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فِي هَذَا اللَّجْوِ وَتِلْكَ الْإِسْتِعَاذَةِ، فَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ حَذَفَ أَدَاةِ النَّدَاءِ قَدْ يَكُونُ لِقُرْبِ الْمُنَادَى مِنَ الْمُنَادَى، سِوَاءَ كَانَ

استمرارية
الاستعانة
وتجددًا من
سُبُلِ حفظ الله
لنبيه ﷺ

قرب الله من
عباده المُخلصين
يقتضي منهم
التَّعْظِيمَ
وإخلاص
العبودية

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 150.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (2077).

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 150، والآلوسي، روح المعاني: 18 / 137.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، برقم: (3872)، وبنظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12 / 117.

الْقُرْبُ حَقِيقًا مَادِّيًّا أَمْ مَعْنَوِيًّا، فَكَأَنَّ الْمُنَادَى لِقُرْبِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى وَاسِطَةٍ لِنِدَائِهِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: 73]، فَهَذَا لِلْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ، بِخِلَافِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُخَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: 65⁽¹⁾]، وَفِي حَذْفِ حَرْفِ النَّدَاءِ تَعْظِيمٌ لِلْمُنَادَى وَتَنْزِيهٌ لَهُ، قَالَ مَكِّي: "وَنِدَاءُ الرَّبِّ قَدْ كَثُرَ حَذْفُ (يَا) مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ، وَعِلَّةُ ذَلِكَ أَنَّ فِي حَذْفِ (يَا) مِنْ نِدَاءِ الرَّبِّ مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالتَّنْزِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّدَاءَ فِيهِ طَرَفٌ مِنْ مَعْنَى الْأَمْرِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: يَا زَيْدَ؛ فَمَعْنَاهُ: تَعَالَى يَا زَيْدَ، أَدْعُوكَ يَا زَيْدَ، فَحُذِفَتْ (يَا) مِنْ نِدَاءِ الرَّبِّ لِيَزُولَ مَعْنَى الْأَمْرِ وَيَنْقُصَ؛ لِأَنَّ (يَا) تُؤَكِّدُهُ وَتُظْهِرُ مَعْنَاهُ؛ فَكَانَ فِي حَذْفِ (يَا) الْإِجْلَالُ وَالتَّعْظِيمُ وَالتَّنْزِيهِ⁽²⁾، وَأَمَّا ذِكْرُ لَفْظِ ﴿رَبِّ﴾ فِيهِ إِشْعَارٌ بِخَالِصِ عِبَادَتِهِ ﷻ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَقْرِيعٌ لِأَوَّلِكَ الْمُعَانِدِينَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

دلالة حذف حرف الجر:

آثَرَ النَّظْمُ الْحَكِيمُ حَذْفَ حَرْفِ الْجَرِّ (مِنْ) مِنَ الْمَصْدَرِ الْمُؤَوَّلِ ﴿أَنْ يَحْضُرُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُرْبِ اللَّهِ ﷻ مِنْ عِبَادِهِ حَالِ الدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، إِذْ يَطْرُدُ حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ مَعَ (أَنْ) وَ(أَنْ) إِذَا أُمِّنَ اللَّبْسُ، وَالْحَذْفُ الْبَلَاغِيٌّ مِنْ دَقِيقِ أُسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ حَسُنَ الْحَذْفُ فِي السِّيَاقِ لِمَقَامِ الدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ الَّذِي يَقْتَضِي الْإِيجَازَ، فَلَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ بَسْطٍ وَإِسْهَابٍ، وَكَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْقُرْبِ وَالْمَعْيَةِ.

دلالة التعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَنْ يَحْضُرُونَ﴾:

آثَرَ النَّظْمُ الْحَكِيمُ اسْتِعْمَالَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ ﴿يَحْضُرُونَ﴾ مَسْبُوقًا بِ﴿أَنْ﴾ الْمَصْدَرِيَّةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثَرَةِ حُضُورِ الشَّيَاطِينِ، وَكَثَرَةِ هَمَزَاتِهِمْ وَوَسَاوِسِهِمْ؛ فَجَاءَ اسْتِعْمَالُ النَّظْمِ الْبَلِيغِ لـ﴿أَنْ﴾

قُرْبُ اللَّهِ ﷻ
مِنْ عِبَادِهِ حَالِ
الدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ

تَجَدَّدَ حُضُورِ
الشَّيَاطِينِ
وَاسْتِمْرَارِيَّتِهِ
يَقْتَضِي الْمُدَاوِمَةَ
عَلَى الْاسْتِعَاذَةِ

(1) السَّامَرَاوِيُّ، مَعَانِي النَّحْوِ: 4 / 325.

(2) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الذَّرُّ لِلصَّوْنِ: 5 / 286.

المصدرية مع الفعل المضارع لِيَدُلَّ على التَّجَدُّد والحدوث⁽¹⁾؛ وهو ما يُرشد إلى أهمية المداومة على الاستعاذة في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ دفعاً لحضور الشياطين الذين لا يحضرون إلا بالأذى وتزيين الباطل.

دلالة إسناد الفعل المضارع لواو الجماعة:

عبَّرَ النَّظْمُ الحَكِيمُ بالفعل المضارع ﴿يَحْضُرُونَ﴾ مُسْنَدًا إلى واو الجماعة؛ للدلالة على كثرة الشياطين الذين يحضرون المسلم بوساوسهم؛ لإفساد عبادته خاصَّةً وحياته عامَّةً، ولكنَّ هذه الكثرة لن تُغْنِيَّ عنهم من الله شيئاً، فهو سبحانه أعلمُ بهم فرداً أو مُجْتَمَعِينَ، وفي الاستعاذة به سبحانه ما يدفع أثر هذه الوسوس، وإن كُثُرَتْ وتعدَّدت، وقد ورد في الأثر ما يُفيد أنَّ التَّعوُّذَ هنا من حضورهم حال الصَّلَاة وقرآن القرآن، وعند النَّوم، وعند الموت، وتخصيص هذه الأحوال لِأنَّها أخرى الأحوالِ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهَا، لا سيَّما الحالُ الأَخِيرَةُ⁽²⁾، وذهب بعضُ العلماء إلى القول بعموم الاستعاذة، وهو الأليق بالمقام.

غرض حذف مُتعلِّق الفعل:

حُذِفَ مفعولُ الفعل ﴿يَحْضُرُونَ﴾، إذِ الأصلُ: (يحضرون)، وذلك لِلْعِلْمِ به من خلال سياق الآية، والمقصود به النَّبِيُّ ﷺ أصلاً، وأُمَّتُهُ مُرَادَةٌ تَبَعاً لَهُ، وهو من الحذف البلاغي في القرآن الكريم، قال ابن السَّجَرِيّ: "وَحُذِفَ المفعولُ يَكْثَرُ لِلْعِلْمِ بِهِ، وذلك لاقتضاء الفعل له، كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: 3]؛ أراد: وما قلاك"⁽³⁾، كما أنَّ في حذف المفعول مزيدَ عنايةٍ بِتَحَقُّقِ الاستعاذة وثبوتها؛ لاهتمام بالفعل وهو الاستعاذة، والفاعل وهو دفعُ أذى الشياطين في المقام الأوَّل.

كثرة الشياطين
وكثرة
وساوسهم
تقتضي كثرة
الاستعاذة

إفادة عموم
علم الله ﷻ
بكل أوصافهم

(1) السَّهِيلِي، نتائج الفكر، ص: 97.

(2) الألوَسِّي، روح المعاني: 18 / 137.

(3) ابن السَّجَرِيّ، الأُمَالِي: 67 / 2.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 36، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-79-2

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 36: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-78-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»